نهر النيل والمجاعات في مصر
خلال العصرين اليوناني والروماني

د. السيد جابر محمد عطا الله

أستاذ مساعد تاريخ الحضارة اليونانية والرومانية
قسم الآثار – كلية الآداب
جامعة المنيا – جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

السيد جابر محمد عطا الله، نهر النيل والمجاعات في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٤. ص ١١٤ – ١٢٢.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

يحاول البحث من خلال الاستعانة بالمصادر القديمة والنصوص اليونانية واللاتينية تبرئة فيضان نهر النيل من كونه المسئول الوحيد عن حدوث المجاعات التي ألمت بمصر خلال العصرين اليوناني والروماني. ومحاولة إثبات أن هناك أسبابًا أخرى قد تكون الأكثر تأثيرًا في حدوث هذه المجاعات منها إهمال الحكومة لمشاريع الري، وسوء توزيع المياه وعدم توزيعها للمناطق التي لا تصلها المياه. بدليل رصد لحالات قحط لم تتبعها قياسات منخفضة لفيضان النيل، وكذلك رصد لقياسات منخفضة للنهر لم تتبعها مجاعات.

مُقَدِّمَة*

لنهر النيل مآثر عظيمة على المصريين لكني لا أتصور أن المجال يتسع لذكرها وذكر الدور الذي لعبه نهر النيل في حياتهم، فقد سبقني لذلك المئات بل الآلاف من الكتاب والعلماء، ولكني سأكتفي بالإشارة إلى أن هذا النهر كان ولا زال بمثابة المعلم الأول للمصريين فهو الذي علمهم الزراعة والاستقرار وعلمهم التجارة والصناعة، علمهم أولي معاني السلطة المركزية والطاعة، وهو الذي دفع الكهنة إلى رصد النجوم لحساب وقت الفيضان، وهو الذي أوحي إليهم بفكرة قياس العلو لمعرفة ارتفاع الفيضان ومسح الأراضي للاهتداء إلى حدود الحقول التي يمحوها الماء في كل عام، لحماية نظام التملك والفصل في خصومات الحدود، وهو الذي أوجد علم الفلك والرياضيات والحق والقانون والشرطة، مع عدم وجود هذه الأمور لدي أية جماعات بشرية خلال العصور القديمة.[١]

والسؤال الذي يحاول هذا البحث طرحه والإجابة عنه هو - هل كان منسوب فيضان هذا النهر هو المسئول الوحيد عن حدوث المجاعات في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني ؟ أم أن هناك عوامل أخري تدخلت في مثل هذا الأمر – مثل الإجراءات التي كانت تتخذها الحكومة في أمور الري وإصلاح الأراضي وتطهير الترع والقنوات، وتوزيع المياه بالعدل بين الأقاليم ؟ وعلى الرغم من أن الإجابة قد تبدو واضحة ومنطقية وهي الاختيار الثاني، لكن ربما يحتاج الأمر لإثبات وهو ما سأحاول أن أقدمه. كما أود أن أشير إلى أن المقصود من هذا البحث ليس مجرد مسح لحالات المجاعات التي حلت بمصر خلال العصرين اليوناني والروماني بقدر ما هو محاولة لرصد أهم العوامل التي تدخلت في حدوث المجاعات، وخاصةً تلك التي لا تتعلق بنهر النيل وفيضانه.

(١) مقاييس النيل

يقول جمال حمدان "لو كان علينا أن نصدق عبارة هيرودوت الشهيرة بأن مصر هبة النيل، فإننا يمكن أن نضيف أن مصر هبة الفيضان. وإذا صح أنه لولا النيل لكانت مصر صحراء جرداء إلا من حفنة من الواحات الصحراوية وربما القرى الساحلية، فإنه من الصحيح أيضًا أنه لولا الفيضان لكانت مصر مجرد نهر هزيل يولد ويموت كل سنة دون أن يضمن الوصول إلى البحر دائمًا. ولا شك

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

أن الفيضان هو أبرز وأهم ظاهرة في مائية النهر، فبينما لا يكاد سكان المنابع الاستوائية يلحظون صعود النهر وهبوطه على مدار السنة، تصل هذه الظاهرة إلى القمة في النيل المصري، حيث يمكن ملاحظة مدى اختلاف منسوب النهر وحده إلى ارتفاع منزل من طابقين أو ثلاثة، بحيث لا يمكن أن تخطئه حتى العين الغافلة.[٢]

تعلم المصريون من تجاربهم وخبراتهم عبر العصور أن ما يحصلون عليه من غذاء مرتبط بشكل وثيق بمنسوب فيضان نهر النيل، لذلك كان من الضروري أن يعرفوا مسبقًا ما يجب عليهم فعله تجاه الفيضان، ومن هنا كان اختراع مقياس النيل. وهو في شكله البدائي عبارة عن صخرة تقع في مكان مناسب على النيل عليها علامات تبين معدل ارتفاع النهر. المهم في كل مقياس أن يكون مثبتًا إلى جانب النهر تثبيتًا متينًا بحيث لا يكون عرضة لأن يزحزحه عن موضعه أي طارئ.[٣] وقد جاء وصف سترابون (مؤرخ وجغرافي يوناني عاش من ٦٣ ق.م حتى ٢٠م) لمقياس النيل على أنه "عبارة عن بئر على شاطئ النهر مبني من حجارة متراصة عليها درجات تبين منسوب ارتفاع وانخفاض النهر".[٤]

وأهمية تحديد منسوب الفيضان تكمن في أنه على أساسه تتم التفرقة بين الأراضي الزراعية التي تصلها مياه الفيضان وتلك التي لا تصلها المياه.[٥] وفي هذا الشأن يقول سترابون: "لا شيء أفيد من مقياس النيل للحكومة وللفلاح، حيث تعتمد عليه الحكومة في فرض الضرائب فتزيدها بزيادة الفيضان وتنقصها بنقصه، أما الفلاح فيعلم بها مقدار ما يعتمد عليه من ماء وما يجب أن يدخره للقنوات".[٦]

وقد تعددت مقاييس النيل في مصر خلال العصور القديمة، فكانت هناك مقاييس رسمية إلى جانب المقاييس الخاصة، من أهمها من الجنوب إلى الشمال ما يلي: مقياس للنيل عند الشلال الأول، ومقياسان في جزيرة فيلة، ومقياسان إحداهما في جزيرة الفنتين، والآخر في أسوان (هما اللذان أشار لهما سترابون في نص سيأتي ذكره)، ثم مقياسان في كوم أمبو، وآخر عند جبل السلسلة، وهناك مقياس عند ادفو ويقع بالقرب من معبد حورس غرب النيل، ومقياس عند اسنا (لاتوبوليس)، وآخر عند قفط ثم هرموبوليس، والأشمونيين وفي انتينوبوليس (الشيخ عبادة)، وفي اوكسيرينخوس (البهنسا)، بالإضافة لعدد من المقاييس على بحر يوسف، ثم مقياس منف (المقياس الرسمي للبلاد)، ثم عدد من المقاييس في الدلتا مثل مقياس مندس (شرق المنصورة)، وآخر في تانيس (صا الحجر)، وبلوزيون (تل الفرما قرب بور سعيد)،[٧] وكذلك كان هناك مقياس في الإسكندرية يقع في معبد السيرابيوم كان يستخدم في العصر البطلمي لقياس الفيضان، حيث كانت توجد قناة تغذي المنطقة هي قناة سخيديا، ربما تماثل الآن قناة المحمودية.[٨]

وعن منسوب الفيضان ومعدلاته يقول سترابون: "أن أفضل ارتفاع للنهر بالنسبة للمحاصيل هو (١٤ ذراع) وعندما يرتفع لنحو ثمانية اذرع فقط تحدث المجاعة.[٩] أما بلينيوس (٢٣م- ٧٩م) فقد قال ما يلي: "عندما يكون (الارتفاع) ١٢ ذراع تحدث المجاعة، وإذا كان ١٣ ذراع تجوع البلاد نسبيًا، وإذا كان ١٤ ذراع (فإنه يجلب) البشر والسرور، وإذا كان ١٥ ذراع (فإنه يأتي) بالأمان، وإذا كان ١٦ ذراع (فإنه يحدث) الرفاهية".[١٠]

"In XII cubitis famem sentit, in XIII etiamnum esurit, XIIII cubita hilaritatem adferunt, XV securitatem, XVI delicias".

ربما يكون من المفيد الإشارة إلى أن رقم (١٦) بدلالته على الفرح والسرور لم يكن جديدًا على الفكر المصري القديم، فقد عبد المصريون القدماء نهر النيل في صورة الإله حابي، وكانوا يصورونه على هيئة إله له لحية وعلى رأسه مجموعة من النباتات المائية، وله ثديان مكتنزان دليل على الإدرار وحوله ستة عشر طفلاً يمثلون الارتفاع الأمثل لفيضان النيل.[١١] كما أنه خلال احتفالات الإله سوكاريس[١٢] كان يطلق على الألهه حتحور "حتحور سيدة الستة عشر"، ويظن بأنه من خلال تمثل حتحور بايزيس – سوثيس فإنها ارتبطت بمياه الفيضان وبخاصةً الارتفاع الأمثل الذي يجلب البشر والسرور، ولذلك فإن المصري القديم كان يكتب الرقم (١٦) إذا أراد أن يعبر عن السرور والفرحة.[١٣]

وفي عصر البطالمة أوجد بطلميوس الأول عبادة جديدة جعل على رأسها الإله سيرابيس الذي يمثل الإله المصري اوزوريس، لذلك فقد ارتبطت عبادة سيرابيس بعبادة النيل، وخلال العصر الروماني بدأ النيل يظهر على العملة مع الربط بينه وبين الخير، كما بدأت في الظهور رفيقة له هي ايوثنيا وهي في الأصل الربة ايزيس وكانت تحمل على رأسها تاجًا من سنابل القمح دليلاً على الخير والنماء، وقد استمر ظهور إله النيل ورفيقته على العملة الرومانية خلال عصر الأسرة اليليوكلاودية (١٤- ٦٩م)، وكانت بداية ظهور إله نيلوس ومعه الستة عشر طفلاً خلال عهد الإمبراطور فسبسيان (٦٩-٧٩م) وهو يمسك في يده اليمنى سنابل القمح، أما يده اليسرى فإنه يستند بها على تمثال لأبي الهول، ويمسك بها قرن الخيرات، والتمثال موجود في الفاتيكان وتوجد نسخه منه في المتحف اليوناني والروماني.[١٤]

وهناك تمثال لايوثنيا رفيقة نيلوس موجود في المتحف اليوناني والروماني تظهر فيه الألهه مضجعة وماسكة بيدها كأس ومتكئه على تمثال لأبي الهول، ويحيط بها ثمانية أطفال بعضهم يتسلق على ردائها، ويشير الكاتب[١٥] أن الثمانية أطفال يمثلون أدنى ارتفاع مطلوب للفيضان من أجل إحسان ايوثنيا حتى تنقذ البلاد من الفيضان المنخفض. لكني أتصور أن الثمانية أطفال ربما يمثلون الارتفاع الأمثل لفيضان النيل كذلك لكن ربما بمقياس آخر غير الذراع.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

وفي العصر الحديث، يشير جمال حمدان إلى أن النهر يبدأ في الارتفاع عند أسوان في الأسبوع الأخير من شهر يونيو ثم يتعالى بسرعة وبشدة من منتصف يوليو حتى يصل لذروته في منتصف سبتمبر، ومن نهاية سبتمبر تبدأ المياه في الهبوط حتى يعود إلى مجراه العادي في نصف نوفمبر، ويقطع الفيضان المسافة من أسوان إلى القناطر الخيرية في أسبوع أو أسبوعين حسب حجمه وسرعته.(١٦)

وأرى أنه من المفيد الإشارة إلى؛ أن مدى ارتفاع الفيضان يتوقف على موقع المقياس جنوبًا أو شمالاً، فكلما كان المقياس يقترب من المنبع ويبتعد عن المصب في البحر المتوسط كلما زاد الرقم، فلدينا وثيقة بردية عبارة عن تسجيلات لمستوي المياه في بعض السنوات نقشت على أحد مقاييس النيل في الفنتين، منها: في العام الخامس والعشرين للإمبراطور أوغسطس قيصر، ٢٤ ذراعًا (٤) يد و(١) أصبع (٥ ق.م)، وفي العام ١٣ للإمبراطور نيرون قيصر، ٢٤ ذراعًا و(٦) يد و(١) أصبع (٦٧م)، وفي العام العاشر للإمبراطور دوميتيان قيصر(٩١م) ٢٤ ذراعًا و(٤) يد، وفي العام ١٤ للإمبراطور تراجان قيصر(١١١م) ٢٤ ذراعًا،(١٧) أما إذا اتجهنا ناحية الشمال في اوكسيرنخوس فإنه كانت تقدم القرابين خلال الاحتفالات على شرف النيل المقدس في ٣٠ بؤونة (٢٤ يونيو) ١٦ من كل شيء حلو على سبيل المثال (١٦) فطيرة، و(١٦) كعكة، و(١٦) من سعف النخيل، و(١٦) من ثمار الصنوبر.... إلخ.(١٨)

والبردية السابقة تشير إلى أن العدد (١٦) هو العدد المرجو، أو ربما الأفضل في منطقة مصر الوسطي أو شمال الصعيد. وإذا اتجهنا شمالاً حيث منف، نجد أن متوسط ارتفاع الفيضان يتراوح من ١٢ إلى ١٤ ذراع.(١٩)* أما ارتفاع الفيضان فيبلغ متوسطه في الدلتا نحو ثمانية أذرع.(٢٠) ومما سبق يتضح؛ أن منسوب الفيضان يختلف وفقًا لمكان المقياس قربًا أو بعدًا عن المنبع، فكلما اقتربنا من المنبع وابتعدنا عن المصب يزيد مستوى الارتفاع، وكلما اقتربنا من المصب وابتعدنا عن المنبع كلما قل المستوى.

وقبل أن استعرض حالات المجاعات والجدب التي حلت بمصر خلال العصرين اليوناني والروماني، **لنتعرف عما إذا كان منسوب فيضان نهر النيل هو المسئول الوحيد عن هذه المجاعات أم أن هناك أمورًا أخرى تتدخل في هذه المسألة**. يبدو من المفيد الإشارة إلى؛ أن الفترة الأولي من الحكم البطلمي التي بدأت منذ دخول بطلميوس الأول مصر في (٣٢١ ق.م) وحتى منتصف القرن الثاني ق.م، تميزت بالاهتمام بكافة النواحي الاقتصادية وبخاصة الزراعية، وقد تمثلت بالاهتمام بمشاريع الري وتجفيف المستنقعات والبرك وشق القنوات وإقامة الجسور، وتوصيل المياه التي لا تصلها مياه الفيضان، كما وضعوا نظامًا دقيقًا للدورة الزراعية، ونجحوا في اجتذاب عدد كبير من اليونانيين إلى مصر وربطهم بالأرض رباطًا اقتصاديًا، كما طوروا العديد من الأدوات الزراعية التي كانت موجودة من قبل واستحدثوا أدوات أخرى، كما استحدثوا زراعات لم تكن موجودة من قبل وطوروا زراعات كانت موجودة بالفعل، وقد كان نتيجة ذلك أنه لم توجد في مصر أرض يمكن زراعتها ولم تزرع، وكان إقليم الفيوم خير مثال على هذه النهضة.(٢١)

أما أولى المجاعات التي حلت بمصر خلال العصر البطلمي، فكانت خلال فترة حكم بطلميوس الثالث (٢٤٦-٢٢١ ق.م)، وكانت خلال السنة الثانية من حكم الملك وأثناء خروجه لمحاربة السوريين، وهو ما اضطر الملك أن يعود للبلاد لمواجهه هذه المجاعة التي تركزت في الدلتا نتيجة لانخفاض منسوب الفيضان، وقد قام الملك نتيجة لذلك بشراء القمح من سوريا وفينيقيا وقبرص. كما قام الملك بإعلان تنازل الدولة عن حقها في الضرائب المتأخرة على الفلاحين وعن نصيبها من المحاصيل نتيجة لانخفاض منسوب الفيضان، وعدم قدرة المصريين على الوفاء بالتزاماتهم تجاه الحكومة، وهو ما أثمر ما يسمي بمرسوم كانوب (تقع مدينة كانوب القديمة على بعد نحو ٢٥ كم شرق مدينة الإسكندرية في مكان ضاحية أبو قير حاليًا) في (٢٣٧- ٢٣٨ ق.م) وهو عبارة عن مرسوم أصدره كهنة منف تعبيرًا عن شكرهم وامتنانهم للملك وأخته لما قاما به من أعمال جليلة.(٢٢) وقد كتب المرسوم بثلاث لغات هي الهيروغليفية واليونانية والديموطيقية، وكان عبارة عن مقدمة وأربع عشرة فقرة اقتبس منها ما يخص المجاعة ما يلي:- "وعندما حدث فيضان منخفض للنهر في زمنهما حزنت كل القلوب، واسترجعا (الملك واخته برينيكي) بذاكرتهما الكوارث التي حلت بالبلاد في زمن ملوك حكموا من قبل - وقتها كان سكان البلاد في أشد الحاجة للمياه- ومن أجل إنقاذ حياة الشعب فقد أرسلا لجلب الغلال من سوريا وفينيقيا وقبرص ومن مناطق أخري، وذلك بأن دفعا مبالغ ضخمة أنقذا بها حياة الشعب المصري الذي اعترف بأعمالهما الخيرة إلى الأبد".(٢٣)*

وفي تقديري؛ أن سبب المجاعة لا يقتصر فقط على حدوث انخفاض لمنسوب الفيضان بل يعود لأسباب أخرى تمثلت في اهتمام بطلميوس الثالث بالسياسة الخارجية وانصرافه للحرب في أسيا منذ السنة الأولى لحكمه، وهو ما انعكس سلبًا على الأحوال الداخلية وبخاصة الاقتصادية، وهم ما يمثل أولي ملامح تقاعس الحكومة في القيام بواجباتها في شئون الزراعة والري.

أما خلال ما قبل منتصف القرن الثاني ق.م فقد بدأ الضعف يدب في كيان الأسرة البطلمية وبدأ التصارع على العرش يزداد، وتعاقب على الحكم ملوك ضعاف، وهو ما انعكس سلبًا على كافة النواحي الاقتصادية للبلاد فقد أهملت مشاريع الري وتقاعست الحكومة في القيام بواجباتها نحو صيانة الترع والجسور والقنوات، وخلال هذه الفترة وأثناء حكم بطلميوس الخامس (٢٠٥ - ١٨٠ ق.م) وفي سنة ١٨٧ ق.م ربما ألمت بالبلاد مجاعة نتيجة لانخفاض متواصل لمنسوب الفيضان لأكثر من سنة، وهو ما دعي بطلميوس الخامس أن يصدر مرسومًا من أجل تهدئة الأمور في البلاد، وهو ما

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

عُرف بـ "مرسوم القحط" أو "لوحة القحط"، وهو عبارة عن متن يتألف من اثني وثلاثين سطرًا نُقشت على الوجه الشرقي لصخره من صخور جزيرة سهيلة في منطقة الشلال الأول.[٢٤]

وقد جاء في المتن أن النيل لم يأت في ميقاته خلال سبع سنوات، فكانت الغلة قليلة، وقد يبست الحبوب، وكل ما كان يؤكل كانت كميته قليلة، وكل إنسان كان مصابًا في داخله، وأصبح الفرد غير قادر على المشي، وكان الطفل يبكي، والشاب أصابه الوهن، وقلوب المسنين في حزن، وكانت المعابد موصدة والمحاريب يخيم عليها التراب، وكان جميع ما هو كائن في حزن.[٢٥]

وفي اعتقادي؛ أن الأمر لم يكن سوي مجرد دعاية سياسية اتخذها الملك من أجل أن يتستر على حالة البلاد السيئة من الناحية الاقتصادية، وعلى إهمال الحكومة في القيام بواجباتها، وإهمالها للشكاوي المتكررة من الأهالي بسبب إهمال الري وتعسف الموظفين والإدارة المركزية في تحصيل الضرائب، كما جاء المرسوم شبيهًا بما جاء في التوراة عن سبع سنوات عجاف مرت بمصر خلال عصر الدولة الوسطي، حتى أن بطلميوس نفسه تخفي في المرسوم تحت اسم الفرعون المصري القديم زوسر من عصر الأسرة الثالثة، وهو ما جعل الكثير من العلماء ينسبون المرسوم لهذا الفرعون. لكن البحوث اللغوية دللت على أن متن اللوحة قد أُلف في العهد البطلمي وخاصةً خلال عهد بطلميوس الخامس، وما يزيل الدهشة في أن الملك تخفي وراء اسم زوسر هو أن تقليد تشبه الملوك البطالمة بفراعنة مصر القديمة أمر مألوف ومعروف ربما كان من بعض أسبابه التقرب إلى المصريين ولإثبات شرعيتهم في الحكم، وتزول دهشتنا أكثر عندما نعلم أن بطلميوس الخامس هو أول ملك بطلمي يتوج في منف، وأن زوسر هو أول مَنْ جعل من منف عاصمة للبلاد في الأزمنة القديمة، لذا فقد كان طبيعيًا أن يتشبه بطلميوس الخامس بخيرة فراعنة الدولة القديمة.[٢٦]

وحتى لو سُجلت مناسيب منخفضة للفيضان، أو اضطربت مواعيده فإني أظن أن السبب الحقيقي لحدوث القحط يكمن في إهمال الحكومة في القيام بواجباتها، خاصةً وأن الاضطرابات التي وقعت على عهدي بطلميوس الرابع والخامس معلومة للجميع وترجع في معظمها لأسباب سياسية، وربما زاد من حدتها إصابة البلاد بالقحط الذي يرجع سببه جزئيًا إلى سوء الإدارة في البلاد، والدليل على ذلك تكرار الشكاوي لكل من بطلميوس الرابع والخامس بخصوص الإهمال في شئون الري التي تتوقف عليها حياة الشعب، ولم تجد هذه الشكاوي ردًا من الحكومة، ومن هذه الشكاوي واحدة تقدم بها مالك أطيان من الجنود المرتزقة اسمه فيلوتاس من أهالي قرية ابوللينوبوليس في الفيوم، وقد شكا كما يقول: "من الجفاف والقحط، وذلك لأنه في خلال ثلاث سنوات لم يرو النيل حقله بصورة كافية"[٢٧] لاحظ أن الشكوى مقدمه من جندي يوناني من المرتزقة ومن أصحاب الأراضي، فما بالك بوضع الفلاح المصري المغلوب على أمره.

ومن دلائل انهيار النظام الاقتصادي بداية من القرن الثاني قبل الميلادي ظهور ظواهر جديدة في حياة الريف المصري لم يألفها من قبل، منها ظاهرة وأد الأطفال نتيجة للفاقة وعجز المزارع المصري عن الوفاء بالتزاماته تجاه الحكومة وبالتالي تجاه أسرته، أما الظاهرة الثانية هي ظاهرة ترك المزارعين لأراضيهم والهروب منها فيما عُرف باسم اناخوريسيس (αναχορασισ) نظرًا لعجزهم عن الوفاء بشروط العقود المبرمة بينهم وبين الحكومة، أما نتيجة لضيقهم بإرهاق عمال الملك لهم واستنزاف مواردهم وقواهم، أو بسبب إهمال الإدارة لشئون الري، أو لأن إيجار الأرض لا يتناسب مع غلتها، بالإضافة لإهمال الموظفين المنوط بهم مراقبة الأعمال المتصلة بصيانة قنوات الري والصرف، ومما زاد في الأزمة تعنت موظفي الإدارة المالية وممارستهم ضغطًا شديدًا عليهم لحملهم على المضي في الزراعة بكل طاقاتهم والحصول على أكبر قدر ممكن من الدخل، وترتب على ذلك كله هروب المزارعين لعدم استطاعتهم دفع الإيجار بقيمته المرتفعة.[٢٨]

ولدينا بردية من أواخر القرن الثاني الميلادي تعطينا صورة واضحة عن الحالة المتردية التي وصلت إليها القرية المصرية، والوثيقة عبارة عن التماس تقدم به مزارعو قرية اوكسيرينخوس إلى أحد موظفي الإدارة المالية في القرية يقولون فيها "أن عددهم أصبح أربعين رجلاً بعد أن كانوا مائة وأربعين، وذلك بسبب المظالم التي يتعرضون لها، وأن المزارعين قد هجروا أراضيهم".[٢٩]

وخلال هذه الفترة ونتيجة لسوء الأحوال، فقد تعددت ثورات المصريين سواء في الدلتا أو في الصعيد، وقد وصل الأمر لاستقلال طيبة عن الحكم البطلمي وقيام الأسرة الأمونية لمدة نحو عشرين سنة (٢١٠ - ١٨٠ ق.م)،[٣٠] كما زادت الأمور سوء بغزو انتيخوس الرابع لمصر في ١٦٩ ق.م منتهزًا النزاعات الملكية بين بطلميوس السادس وأخيه السابع، وكادت الإسكندرية تقع في يده لولا تدخل روما السريع التي كانت لا تريد أن يشاركها أحد في مصر، وقد نتج عن ذلك تدمير الأرض وتخريبها وهجرت قري بأكملها، وربما يشير ذلك لحدوث حالات أشبه بالمجاعة والقحط دون حدوث انخفاض لمنسوب الفيضان.[٣١]

أما فترة القرن الأخير قبل الميلاد فكانت أصدق مثال على انهيار الأوضاع الاقتصادية في شتي جوانبها، وفشلت الحكومة في احتواء الأزمة والسيطرة على الأمور، وزاد من الأمر سوء انخفاض منسوب الفيضان لعدة مرات خلال فترات بسيطة. ونستدل على انخفاض منسوب الفيضان من كلام بلينيوس الأكبر حيث قال: "كان أدنى (منسوب للفيضان) خمسة (أذرع) خلال حرب فارسالوس (٤٩ ق.م) كما لو كان النهر يعبر عن حزنه لموت قائد عظيم".[٣٢]

'Minimum V Pharsalico bello, veluti necem Magni prodigio quodam flumine adversante'.

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

وخلال هذه الفترة اضطرت الحكومة نظرًا لتدني منسوب الفيضان وتأثر محصول القمح وقلته بشكل واضح في مدينة الإسكندرية العاصمة، أن تصدر قرارًا ملكيًا بفرض عقوبة الإعدام على مَنْ يقوم بتصدير القمح من مصر الوسطي إلى العليا بدلاً من تصديره إلى الإسكندرية، التي لا تزرع القمح في أراضيها. ونص البردية كالأتي:- "بواسطة قرار الملك والملكة (بطلميوس الثالث عشر– كليوباترا السابعة) غير مسموح لأي فرد أن يشتري القمح أو الفول من مقاطعات أعلى منف (مصر الوسطى) ليحملها لمقاطعات مصر الوسطى أو إلى طيبة بأي حال، ويجب أن ينقل كله إلى الإسكندرية، وسوف يتعرض للموت كل مَنْ يخالف ذلك، وسوف يحصل أي شخص يخبر الأستراتيجوس عن الشخص المخالف في مقاطعته على ثلث ممتلكات الشخص المذنب، وإن كان عبدًا فسوف يصبح حرًا بالإضافة لحصوله على سدس الممتلكات".[٣٣]

والبردية السابقة تدلل على حجم المأساة التي ألمت بالبلاد وهو ما أدى لنقص القمح والفول بشدة من الإسكندرية نتيجة لتدني منسوب الفيضان، ولإهمال الحكومة في القيام بدورها في مسائل الري، ونتيجة لاشتعال الصراعات على عرش البلاد بين الأسرة الحاكمة، وقد زاد من الأمر سوء قدوم قيصر واندلاع حرب الإسكندرية مما انعكس سلبًا على الناحية الاقتصادية.[٣٤] وفي سنة ٤٠ ق.م حدث فيضان منخفض آخر للنيل وعُرف هذا العام بعام القحط، وقد ورد ذلك في إشارة لأبيانوس قائلاً: "إنهم (بروبوس وكاسيوس) لم يتمكنوا من الحصول على شيء من تجار مصر لأن هذه البلد قد أصابها القحط".[٣٥]

“Ουτε γαρ τι δι εμπορων απ Αιγυπτου λαβει ν ειχον , υπο λι–μου τησ χωρασ δεδαπανημ ηενησ”

ونتيجة لذلك فقد اضطرت كليوباترا أن توزع الغلال الموجودة لديها في المخازن الملكية على مواطني الإسكندرية، أما بخصوص قرى ومدن مصر العليا فقد ألقت مسئوليتها على إدارتها الخاصة لحل هذه الأزمة.[٣٦]

(٢) المجاعات في مصر خلال الفترة الأولي من الحكم الروماني

تسلمت الإدارة الرومانية البلاد وهي في حالة سيئة خاصةً بالنسبة للحالة الزراعية، فقد سدت قنوات الري وأهملت حالة الأرض وحل بكثير منها البوار، كان ذلك نتيجة طبيعية لانشغال ملوك البطالمة بصراعاتهم على العرش وإهمالهم لشئون البلاد الداخلية. فكان لابد للإدارة الرومانية كي تضمن أحسن استغلال لثروات مصر وكي تحقق أقصي استفادة من الإنتاج المصري خاصةً القمح أن توجه عنايتها لشئون الري، وتعمل على تطهير الترع والقنوات التي سدت في نهاية العصر البطلمي. لذلك فقد حرصت الحكومة الرومانية خلال عهد الإمبراطور أوغسطس(٣٠ ق.م- ١٤م) أن تولي عناية خاصة بمشاريع الري، وأن توجه اهتمامها للأرض حتى تؤمن وصول القمح المصري إلى روما بعد أن قام أوغسطس بتنظيم الجزية النوعية من القمح (annona) في حوالي ٢٧ ق.م.[٣٧]

ونظرًا لهذه الأهمية، فقد وضع أوغسطس نظامًا صارمًا ودقيقًا يضمن له السيطرة على مصر وخضوعها التام للسلطة المركزية، وكان أهم عناصر هذا النظام أن يحكم مصر أفراد من طبقة الفرسان (ordo equester) [كان يحمل لقبًا من ألقاب طبقة الفرسان بمعني حاكم أو وال praefectus] حتى لا يستقل أحد من طبقة السناتو بحكم مصر ويهدد حياة الشعب الروماني،* أما القاعدة الثانية فكانت عدم السماح لأي عضو من أعضاء السناتو بزيارة مصر إلا بإذن رسمي منه لنفس السبب السابق.[٣٨]

أولت الحكومة الرومانية خلال الفترة الأولي من حكمها اهتمامًا بالغًا بمشروعات الري وبتنظيف وتطهير الترع والقنوات بشكل متواصل ودوري، وقد تم تنفيذ ذلك بواسطة السخرة لمدة تتراوح من خمسة إلى عشرة أيام، ولم يكن مسموحًا لأي شخص أن يتهرب من هذه المهمة أو أن يدفع مالاً عوضًا عن العمل والمجهود البدني (تشير العبارتان الأخيرتان إلى مشكلة مزمنة عانى منها نظام السخرة، وهي المحاولات المختلفة والمستمرة للتستر والرشوة والمحاباة) وكان يتم محاكمة مَنْ يتجاسر على ذلك وتتعرض ممتلكاته وحياته للخطر.[٣٩] كان يعطي لكل شخص أدي هذه الخدمة الإجبارية شهادة تثبت ذلك، وكانت تكتب على قصاصة بردي أو على شقافة فخار، وتحفظ لنا الوثائق البردية مئات من هذه الشهادات منها وثيقة تعود للقرن الميلادي الأول ٤٩م (خلال حكم الإمبراطور تيبيروس كلاوديوس) لشخص يدعي بيتيميروس بيوس أدى هذه الخدمة الإجبارية من قرية سوكنوبايونيسوس.[٤٠]

كما خصصت الإدارة موظفين للإشراف على أعمال الري وبذر البذور في الأرض، وكان من بين مهامهم تنظيم تدفق المياه في القنوات والأشراف على زراعة الأرض. وكذلك كان من بين هؤلاء حراس مهمتهم حماية القنوات ومجاري المياه، وكان بعضهم موظفين مأجورين لدي الدولة وبعضهم يقوم بهذه المهمة بمثابة خدمة إجبارية. وكان حراس المياه يقومون بعملهم لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر خلال موسم الفيضان، وكانت هناك نقابة للعمال الذين يقومون بهذا العمل في النهر، والذين كانوا يشقون القنوات ويوصلون المياه لبعض المناطق والحقول في القرى.[٤١]

ولدينا بردية عبارة عن أمر من كاتب قرية مشرف على القائمين في الحفر الذين وظفتهم الحكومة لمسح القنوات للعمل (١٥) يوم في نهر تالو. ونص البردية كما يلي: "اوريليوس تيثوتيون، كاتب عمال نهر من قرية كوري (قرية تقع على نهر talu الذي يتفرع من الفرع الغربي الرئيس عند هرموبوليس بارفا (دمنهور) ويصب في الفرع البلوبيتيني) من خلال ميلاس صديقة لشريكة وعمال النهر تحياتي من خلال استمرار العمل في الحفر في نهر talu مدفوع الأجر لمدة ١٥ يوم السنة الثالثة باوني ٢٦".[٤٢]

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

«Αυριλιοσ Τιθοητιων γραμματευσ ποτ αμιτων Κορη δι Εμου Μελανοσ φηλου συνγραμματευοντι και ποταμι ταισ χαι ρειν. Συνεχω ναυβιων μαλιστα το κεφ αλαιον εργασασθαι εν υδασι Ταλυ τ ου συνηθουσ φορου ημερων δεκαπεντ ε, ετουσ γ παυνι κσ.»

خلال فترة أوغسطس وولاية البريفكتوس بترونيوس (٢٦-٢٤ ق.م) نفذت بعض مشاريع الري وأشرف الوالي بنفسه على شق الترع وتطهير قنوات الري التي كانت تسد كل عام بالطمي الذي كان يجعل الأراضي أكثر خصوبة، وقد أشرك بترونيوس الجيش في هذا العمل الحكيم والمفيد، ويبدو أنه خلال هذه الفترة أُقيم مقياس النيل عند جزيرة الفانتين من أجل ضبط ارتفاع منسوب الفيضان في الجنوب، حتى تتحدد الضريبة بشكل دقيق.[٤٣] ويبدو أن ذلك أدى لشعور الأهالي بالرضا على الإدارة الرومانية لأن الفيضان الذي كان يصل ارتفاعه اثني عشر ذراعًا خلال العهد الروماني -والذي كان بمثابة الكارثة والتهديد بالمجاعة خلال العهد البطلمي- أصبح يثمر خيرات زراعية ربما تفوق تلك التي كانت تأتي عن فيضان ارتفاعه (١٤) ذراعًا أواخر الحكم البطلمي.[٤٤] ونستدل على ذلك بما ذكره سترابون:- "ولكن في وقت حكمه (الوالي بترونيوس ٢٦ -٢٤ ق. م) في كل البلاد عندما بلغ مقياس النهر (١٢) قدمًا فقط، كانت المحاصيل في أفضل حالاتها، وعندما بلغ المقياس ثمانية أقدام فقط لم يشعر أحد بالمجاعة".[٤٥]

«Επεκινου δε αρξαντοσ τησ χωρασ καιβ δω δεκα μονον πληρωσαντ– οσ πηχεισ του Νι λου μετρου μεγιστη ην η φορα και οκτω πο τε μοϖοϖ πληρωσαντοσ, λιμου ουδεισ ησθ ετο».

والنص يشير لحدوث فيضان منخفض للنهر بلغ نحو ثمانية أقدام فقط وهو منسوب منخفض جدًا لدرجة أن أعلى من هذا المنسوب كان يسبب المجاعة في البلاد، ومع ذلك لم تحدث المجاعة في البلاد، وهو ما أكده سترابون المعاصر للأحداث الذي زار مصر خلال هذه الفترة تقريبًا (٢٥-٢٤ ق. م) ويرجع ذلك للإجراءات التي كانت قد اتخذتها الحكومة من قبل واستمرت عليها، وربما كانت هذه أول مرة نسمع فيها عن حدوث انخفاض منسوب للفيضان ومع ذلك لم تحدث المجاعة للأسباب السابق ذكرها.

أما المرة الثانية التي نسمع فيها عن انخفاض للنهر ربما قد سبب مجاعة فكان خلال زيارة جرمانيكوس لمصر (١٩م) ووصوله إلى الإسكندرية دون أذن من الإمبراطور بحجة حدوث مجاعة هائلة حدثت فجأة، ونظرًا لاهتمامه الشديد بالولاية ورغبته في تخليصها من الأزمة الاقتصادية التي ألمت بها، لذلك فقد قام بفتح مخازن الغلال العامة وسمح ببيع الحبوب بأسعار رمزية للشعب، وهو ما أدى بأن قام الإمبراطور بتوبيخه لأنه كسر قاعدة هامة من قواعد الحكم - التي سبق الإشارة لها- التي أرساها أوغسطس من قبل.[٤٦] وقد تحدث تاكيتوس عن الزيارة قائلاً:- "وفي أثناء قنصلية ماركوس سيلانوس نوربانوس ذهب جيرمانيكوس إلى مصر للتعرف على تاريخها القديم، غير أنه تذرع بحجة الاهتمام بالولاية، وقد خفض الأسعار بأن فتح صوامع الغلال واصطنع أشياء كثيرة مقربة إلى قلب الجمهور".[٤٧]

'M. Silano L. Norbano consulibus Germanicus Aegyptum proficiscitur cognoscendae antiquitatis. Sed cura provinciae praetendebatur, levavitque apertis horreis pretia frugum multaque in vulgus grata usurpavit'.

كما تحدث سيوتينيوس عن زيارة جرمانيكوس قائلاً:- "بل إن (الإمبراطور) شكا إلى السناتو من أن جرمانيكوس ذهب إلى الإسكندرية دون استشارته متعلل بمجاعة هائلة حدثت فجأة.[٤٨]

'Quad vero Alexandream propter immensam et repentiam famem inconsulto se adisset questus est in senatu.'

ومع ذلك فأنا لا أتصور أنه قد عصفت بالبلاد مجاعة خلال هذه الفترة، وأن المسألة لم تكن سوى مجرد دعاية سياسية تبناها جيرمانيكوس ليجد لنفسه ذريعة يدخل بها مصر، ولو سلمنا بأنه ألمت بالبلاد مجاعة بالفعل، فمن الواضح أن الحكومة كانت قد اتخذت حيطتها لمواجهة مثل هذه الظروف، بدليل أن جيرمانيكوس قام بفتح مخازن الغلال وسمح ببيع القمح بأسعار زهيدة للشعب لمواجهه الأزمة.

وخلال هذه الفترة تقريبًا وعلى عهد تيبريوس (١٤- ٣٧ م) أرسل البريفكتوس ايميليوس ريكتوس الجزية النوعية إلى روما زائدة عن المعدل المطلوب، فما كان من الإمبراطور إلا أن قال له مقولته الشهيرة "لقد أمرتك بجز صوف الماشية لا بسلخها".[٤٩] وبالطبع لم يكن غرض الإمبراطور صالح مصر وشعب مصر، وإنما صالح روما ومن أجل تنظيم الاستفادة من خيرات مصر، واستنزاف مواردها بشكل منظم، لكن ما يهمنا في هذا الموقف هو الثراء الذي وصلت إليه مصر ووفرة إنتاجها بشكل سمح بإرسال جزية زائدة لروما دون أن يتبع ذلك شعور البلاد بالجوع.

وخلال هذه الفترة كانت الإدارة المركزية مهتمة بإجراء مسح سنوي للأرض بعد كل فيضان (كان ذلك متبعًا خلال العصور القديمة) لأن الفيضان كان يزيل كافة العلامات الفاصلة بين حدود الأراضي الزراعية (trabo .XVII.1.3) وكانت السجلات الخاصة بمسح الأراضي تودع في مكتب كاتب القرية والكاتب الملكي والأستراتيجوس، وربما كذلك في المكاتب الرئيسية للإدارة المركزية في الإسكندرية.[٥٠]

اهتمت الإدارة المركزية كذلك بالتفتيش على الأرض، وكانت هناك لجان تعين سنويًا لملاحظة الأرض بعد الفيضان وتقدير معدل الضرائب حسب حالة الأرض. وكانت حريصة كذلك أن تُحصل الضرائب وفقًا للحالة الفعلية للأرض بعد الفيضان وليس على

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

أساس متوسط الفيضانات السابقة، وهو ما دعي البريفكتوس تيبريوس يوليوس الإسكندر أن يصدر مرسومًا في سنة ٦٨م يتضمن أحد بنوده هذا المعني، وقد جاء نص بند المرسوم كالآتي:- "الإيجارات والضرائب العينية من الحبوب يجب حسابها وفقًا للفيضان الفعلي السنوي للنيل وليس على أساس متوسط الفيضان خلال عدة سنوات".(٥١)

أما الإشارة التالية لمجاعة حدثت في مصر كانت خلال عصر تراجانوس (٩٨- ١١٧) وبالتحديد في سنة ٩٩م، فقد أخبرنا بلينيوس الأصغر أنه قد انخفض منسوب الفيضان، وهو ما أدي لحدوث مجاعة في مصر اضطرت الإمبراطور أن يرجع شاحنة قمح كانت ذاهبة إلى روما.(٥٢) ومع ذلك فاناً لا أميل لرأي بلينيوس الأصغر لأنه لو سلمنا أصلاً بحدوث مجاعة في مصر خلال هذه الفترة -وهو ما لم تذكره المصادر القديمة- فأنا لا أصدق أن الإمبراطور تراجانوس قد أرجع شاحنة قمح كانت ذاهبة لإطعام شعب روما، لأنه في هذه الفترة كان يستعد للقيام بمشاريع حربية ضد قبائل الداكيين وهي الحرب التي اندلعت بعد نحو عام أو أكثر، مما يجعله في حاجة لكل حبة قمح لشعبه أو لجيشه، أما السبب الثاني الذي يجعلني لا أصدق كلام بلينيوس الأصغر هو أنه كان من رجال بلاط تراجانوس المقربين، ومؤلفه يُعَدّ خطبة مديح لتراجانوس عدد فيها محاسنه، وقارنها بمساوئ سلفه الإمبراطور دوميتيانوس. وخلال هذه الفترة وفي ١١٥م اندلعت ثورة اليهود في مصر وبرقة وهو ما اضطر الحكومة أن تقوم بتسليح الأهالي لمواجهه هذا الخطر، وهو ما أدي لإهمال شئون الزراعة وبوار الأرض وخراب الزراعة، وهُجرت القرى وزادت الشكوى من تعسف الموظفين في تقدير الضريبة المقررة على الأراضي.(٥٣)

(٣) تدهور الأحوال الاقتصادية في مصر منذ نهاية القرن الثاني الميلادي

أما خلال فترة حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١- ١٨٠م)، فقد بدأت بوادر الانهيار تدب في الإمبراطورية، وانعكس ذلك سلبًا على مصر، نظرًا للحروب المستمرة وتهديد القبائل البربرية في الشمال والغرب، وكذلك زيادة الخطر الفارسي في الشرق، كما اندلعت ثورة الرعاة في مصر في ١٧١م والتي وصفت على أنها ثورة على الحكم الروماني الفاشل، وضد الأوضاع الاقتصادية السيئة.(٥٤) وخلال هذه الفترة يبدو أن الإنتاج المصري من القمح قد قل أو اضطرب على الأقل، وهو ما نستدل عليه من اضطرار الإمبراطور كومودوس (١٨٠- ١٩٢م) أن يعتمد على استيراد القمح من شمال إفريقيا (Clasis Africana) بدلاً من الاعتماد على مصر كما كان سائدًا.(٥٥)

أما خلال القرن الثالث الميلادي، فقد شهدت مصر شأنها شأن معظم الولايات الرومانية فترة من أسوأ فتراتها خاصة بالنسبة للظروف الاقتصادية، وهو ما أدي لهجرة قرى بأكملها كما في إقليم منديس في الدلتا، وكذلك في عدد من مدن وقري الفيوم،(٥٦) وقد اضطرت الحكومة المركزية أن تعالج مثل هذه الأمور بعدد من الوسائل الترهيبية والترغيبية،* لكن هذه الإجراءات لم تثمر شيء لأن الأمور كانت قد وصلت لدرجة يصعب معها أنصاف الحلول.(٥٧) وقد شهد القرن الثالث ق.م نفس السيناريو السابق فقد بدأت دولة البطالمة عهدها بفترة من النجاح على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية لكن سرعان ما انهارت في القرن الأول ق.م، وكانت النهاية على يد الرومان في ٣١ ق.م الذين تسلموا التركة وهي مثقلة بالأعباء ومن أجل تحقيق مصالحهم ومصالح بلادهم وتحقيق أقصى استفادة من خيرات مصر، فقد كانت البداية قوية وتحسنت الأمور شيئًا فشيء وازدهرت الأحوال الاقتصادية كما كانت في بداية العصر البطلمي. أما بعد ذلك تكون النهاية المحتومة باختلاف الظروف والأسباب وتكون النتيجة واحدة هي انهيار في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وكان من ملامح هذا الانهيار بوار الأرض، وارتفاع أسعار السلع، وهجرة الأرض، وانتشار الطاعون، إنها حالة أشبه بالمجاعة ولكن بدون انخفاض لفيضان النيل.

خاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:-

- يختلف منسوب الفيضان قربًا وبعدًا عن منبعه، فكلما كان المقياس موضوع بالقرب من المنبع في الجنوب كلما زاد مستوي ارتفاع الفيضان، وكلما اقترب وجود المقياس من المصب في البحر المتوسط كلما انخفض مستوي ارتفاع النهر، ففي حين يزيد مستوي الفيضان عند أسوان عن (١٦ ذراع) فإنه عند منف يصل متوسطة إلى (١٢ ذراع)، في حين لا يزيد متوسطة عند مدن الدلتا عن نحو ثمان أذرع.
- يُعَدّ انخفاض فيضان النيل عنصرًا مهمًا من عناصر حدوث المجاعات ولكنه ليس العامل الوحيد في حدوث هذه المجاعات التي ألمت بمصر خلال العصرين اليوناني والروماني، وأن فيضانه السنوي ليس دائمًا هو المسئول الوحيد عن حدوث مثل هذه المجاعات، وإنما يتدخل في الأمر عوامل أخرى منها إهمال الحكومة لمشاريع الري المتمثلة في تطهير الترع والقنوات وإصلاح الجسور وإقامة الخزانات والسدود، وكذلك سوء تصريف المياه وعدم توزيعها بالعدل بين الأقاليم وعدم توصيل المياه إلى المناطق التي لا تصلها مياه النهر، وسوء التصرف في فائض المياه في العام الذي يأتي فيه الفيضان زائد عن الحد. والدليل على هذه النتيجة رصد حالات مجاعات في مصر خلال العصرين خلال الفترات التي كانت فيها الحكومة تتقاعس عن القيام بواجباتها في هذا الشأن، وكذلك تسجيل معدلات فيضان منخفضة للنهر خلال بداية العصر الروماني دون حدوث أية مجاعات، وذلك لأن الحكومة كانت تقوم بواجبها بالشكل الصحيح (بغض النظر عن أغراض الحكومة الرومانية آنذاك).
- أن مسألة فرار الأهالي والفلاحين من الأرض، وهجر القرى، وبوار الأرض، وارتفاع أسعار السلع كلها أمور توحي بشكل من أشكال القحط والجدب والمجاعة، والتي قد تصيب البلاد دون انخفاض لمنسوب فيضان النيل، وإنما تعود في معظم الأحوال لفساد الإدارة المركزية والتقصير في واجباتها والمبالغة في تقدير وجمع الضرائب المفروضة على الفلاحين، وقد حدث ذلك خلال فترات ضعف الحكومتين البطلمية والرومانية وهو ما يدعم النتيجة التي تم التوصل إليها.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

* تم إلقاء هذا البحث في مؤتمر "**نهر النيل ومصادر المياه في مصر عبر العصور**" في كلية الآثار – جامعة القاهرة - فرع الفيوم خلال الفترة (٢ – ٤) أبريل ٢٠٠٥.

(١) إميل لودفيج (٢٠٠٤)، **النيل: حياة نهر**، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص ٤٤٧.

(٢) جمال حمدان (١٩٨٠)، **شخصية مصر**: دراسة في عبقرية المكان، القاهرة، ص ٦٦٦.

(٣) محمد عوض محمد (٢٠٠١)، **نهر النيل**: الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص٢٥٣.

(4) Strabo, XVII .1.48.

(5) Manning J.G.(2003),Land and Power in Ptolemaic Egypt . London. Pp. 29,30.

(6) Strabo, XVII .1 .48.

(7) Bonneau D.(1971), Le Fisc et Le Nile. Paris. PP. 25-39.

(9) Strabo, XVII ,1,3.

(10) Pliny, V,X, 58.

(١١) جيمز. ت. ج (١٩٩٥)، **كنوز الفراعنة**، ترجمة: أحمد زهير أمين، القاهرة، ص ١٣.

(١٢) كانت هذه الاحتفالات تتم في منف خلال الانقلاب الشتوي في ٢٢ ديسمبر حيث يخرج الشعب ليحتفل بهذه المناسبة، ويأكل البصل الذي كان يحوط أعناقهم.

Darby W.J.; Ghalioungai P.S.& Grivetti L.(1971),Food the Gift of Osiris , London. P. 662.

(13) Kakosy L.(1982), The Nile , Euthenia and the Nymphs 'JEA. (68) P.293.

(١٤) أبو اليسر فرح (٢٠٠٤)، **النيل في المصادر الإغريقية**، القاهرة، ص ٦٠ - ٦٢.

(15) Kakosy L.,op.cit., p., 292.

(١٦) جمال حمدان: المرجع السابق، ص ٦٦٧ – ٦٦٨.

(17) SB. 6. 8392. apud Naftali Lewis (1985), Life in Egypt under Roman Rule. Oxford. p. 111; Pliny,V , X,58, p., 263.

(18) P., OX., 1211.

ترجمة نفتالي لويس: المرجع السابق، ص ١٣٢.

(19) Dorothy J., Thomsson (1985). Memphis under Ptolemaic Egypt. London, p.12.

* وفقًا لترجمة نفتالي لويس، وكذلك الترجمة الانجليزية لنص بلينيوس لطبعة (Loeb) فإن الذراع الانجليزي يساوي نحو ٢÷ ٣ من الذراع المصري خلال العصر الروماني وهو ما يعني أن متوسط هذه الفيضانات يزيد عن ١٦ ذراع انجليزي.

(٢٠) لودفيج أميل: المرجع السابق، ص ٤٥٥.

(21) Manning J.G., op.,cit., p., 38.

* يمكن الرجوع للمواد التالية لمزيد من المعلومات عن النهضة الزراعية خلال العصر البطلمي:

Grabam S.(2000), The Greek after Alexander 323-30 B.c., London . pp. 226-7; Bowman A., Egypt after Pharaohs (1986). London. P.20; Dorothy J.C.(1979), Food Tradition and Change in Hellenistic Egypt, World Archaeology.(2) pp. 140- 9; Rostovetzeff M. (1927), A Large Estate in Egypt in 3rd century B.c. London.

وكذلك: إبراهيم نصحي (١٩٦٦)، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، الجزء الثالث، القاهرة؛ لطفي عبد الوهاب يحي (١٩٩٩)، **دراسات في العصر الهلينستي**، الإسكندرية، ص ١٥٦- ١٦١.

(22) Roger S. Bagnal & Peter Derew.(2004),The Hellenistic Period: Historical Sources in Translation, Second ed. New York.

(23) OGIS., 56,13-18.

"Του τε ποταμου ποτε ελλεστεπον αναβαντος και παντων των εν τη χωρα καταπεπληγμενων επι τω συμβεβηκοτι και ενθυμουμενων την γεγενμενην κ αταφθοραν επι τινων των προτερον βεβασιλευκοτ ων, εφων συνεβη αβροξιαισ περιπτωκεναι τους τ ην ξωραν κατοικουντας, νικως ιδοντες ενεκα τη ς των ανθρωπων σωτηριας, εκ τε Συριας και Φοιν ικης και Κυπρου και εξ αλλων πλλων πλειονων τ οπων σιτον μεταπεμφαμενοι εις την ξωραν τιμων μειζονων διεσωσαν τους την Αιγυπτον κατοικου ντας,αθανατον ευεργεσιαν και της αυτων αρετη"

* رغم أن النص ورد ذكره في العديد من المصادر القديمة وتناقلته المراجع الحديثة لكني أتحفظ على كيفية أن يحارب بطلميوس سوريا ثم يضطر لشراء القمح منها. (الباحث)

(24) Holbal G.(2001), A History of the Ptolemaic Empire. London.168

(25) Pascal V. Jean Y.& Dvid L.(2003),The Book of the Pharaohs , New York. p., 65.

(26) Lichtheim M. (1980), Ancient Egyptian Literature: Late Period, London. p.5; Gnuse R.k. (1996), Dreams and Dream Report in the Writings of Josephus, koln, New York. p.66.

(27) Fouilles FP. (1950),Tell Edfu. 111.p, 333-4.

نقلاً عن: سليم حسن: **مصر القديمة**، الجزء السادس عشر، الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة، ص ٢٠٠- ١.

(٢٨) مصطفي كمال عبد العليم (١٩٧٤)، **الأرض والفلاح في مصر في عهد البطالمة**، الجمعية للمصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ص ١٠١- ١٠٣. للحصول على معلومات مفصلة عن مسألة الهروب الجماعي خلال العصر البطلمي يمكن الرجوع إلى: أبو اليسر فرح (١٩٩٤)، **الدولة والفرد في مصر وظاهرة هروب الفلاحين في عصر الرومان**، القاهرة، ص ٥٣ – ٧٧.

(29) P.,Tebtunis , V. 803.

(30) Chmoux F.(2003), Hellenistic Civilization. Oxford, p.120.

(٣١) جون مارلو (٢٠٠٤)، **العصر الذهبي للإسكندرية**، ترجمة نسيم مجلي، القاهرة، ص ١٤٦- ٧.

(32) Pliny, V. 58.

(33) Select Papyri. II. 209.

(34) Julian, M.(2003), Cleopatra Ruling in The Shadow of Rome. New York. p. 31.

(35) App. Civ. IV.16,108.

(36) Holbal, G. op.cit, pp.239-40.

(٣٧) قدر بعض العلماء كمية القمح التي كانت تصل لروما من مصر سنويًا بنحو ٢ مليون أردب مصري (حوالي ١٣٥ ألف طن) وهو ما كان يزيد عن ثلث ما كانت تستورده روما سنويًا من غلال، وأكثر من نصف ما تحتاجه روما من غلال، بالإضافة لكميات أخرى كانت تترك في شون الحكومة في مصر للطوارئ ولإطعام جيش الاحتلال. راجع:

Garnsay, p. Saller r.(2001),The Roman Impair , Economy, Society and Culture, fifth edition , London. pp. 84, 85.

* "وعزل مصر (أوغسطس) خوفًا من أي شخص يحتل هذه الولاية ويصيب إيطاليا بالمجاعة"

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

"Seposuit Aegyptum ne fame urgeret I taliam quisquis eam proviniciam insedisset" *(Suetonius – Ann., II,59)*

(38) Pat Southern (1999), Augustus. New York. pp. 107 – 109.

هناك مَنْ يرى بأن من الأسباب التي دعت أوغسطس أن يمنع أعضاء السناتو من دخول مصر إلا بإذن رسمي منه، هو رغبته بألا يتعرض والي مصر للإحراج وإضعاف مكانته بين مرؤوسيه من السناتو، لذا أراد أوغسطس أن يمنع هذا الحرج. راجع: أبو اليسر فرح (٢٠٠٢)، **تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان**، القاهرة، ص ١٦٧.

*هذه الجملة تشير لمشكلة خطيرة عاني منها نظام السخرة، وهي المحاولات التي كانت تتم للتستر والرشوة والمحاباة، وفي قضية حدثت خلال القرن الميلادي الأول اتهم اثنان من موظفي القرية ملاحظًا كان تقاضي أربع دراخمات من كل واحد من تسعة وخمسين رجلاً مقابل عدم عملهم في السدود العمومية. انظر:

Select Papyri III. 3264

(٣٩) نفتالي لويس (١٩٩٤)، **مصر الرومانية**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص ١٣٣،١٣٤.

(40) P. London, II, 165.

*هناك العديد من مثل هذه الشهادات تم حصرها بواسطة:

P.J.,Sijpeiteijn(1964), Penthemeros Certificates in Graeco- roman Egypt, pap.Lugd-Bat.xii.

(٤١) محمد السيد عبد الغني (١٩٩٩)، **لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان**، الإسكندرية، ص ١٩٩ – ٢٠٠.

(42) P., Ox., 1427.

(43) Rappoport,(2003), History of Egypt from 330 B.C to the Present Time, vol.2, New York.p.357.

(44) Miline, G.E.(1924), A History of Egypt under the Roman Rule third edition, London. P. 11

(45) Strabo, XVII, 1,3.

(٤٦) عبد اللطيف أحمد علي (١٩٦٦)، **مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الوثائق البردية**، القاهرة، ص ٧٢. لمزيد من المعلومات عن زيارة جرمانيكوس لمصر يمكن الرجوع للمرجع السابق، ص ٧٠-٨١.

(47) Tac. Ann. II. 59.

(48)Suetonis, Tib. III.2.

(49) Barbra, L.(2000),The Government of Roman Empire. second edition. London. p.187.

*ونص العبارة موجود لدى:

(50) Cockle, WH. (1984), State Archives in Graeco-Roman Egypt 30B.C.to The Reign of Septimus Severus' JEA. (70) P.106.

(51) BGU. 1563, col., 22-25.

(52) Pliny younger, Panegyricus, I,30,31.

(٥٣) محمد السيد عبد الغني (٢٠٠١)، **تعسف الإدارة الرومانية مع المزارعين، في جوانب من الحياة في مصر في العصرين البطلمي والروماني في ضوء الوثائق البردية**، الإسكندرية، ص ٢١٥- ٢٢٨.

(٥٤) آمال الروبي (١٩٨٠)، **مصر في عصر الرومان**، القاهرة، ص ١٣٠ - ١٣٢.

(55) Historia Augusta, XXVII,7; Michael grant (2001), The Roman Emperors, third edition, London. p. 97.

وكذلك مصطفي العبادي (١٩٧٥)، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح الإسلامي**، القاهرة، ص ١٩٠.

(٥٦) مصطفي العبادي (١٩٧٤)، **الأرض والفلاح في مصر على مر العصور**، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ص ١٣٥- ٦.

* من وسائل الترهيب فرض عقوبات على مَنْ يؤوون الهاربين من الأرض وإلزام الأهالي بتقديم إقرارات تتضمن قائمة بأسماء أعضاء النقابة، ومن وسائل الترغيب قرارات عفو عن الهاربين، وتخفيف الضرائب، وبيع الأراضي البور بأسعار زهيدة. راجع: أبو اليسر فرح، **الدولة والفرد في مصر خلال العصر الروماني**، ص١٦٠- ١٨٢.

(٥٧) المرجع نفسه، ص ١٨٣.

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449